

# نحو ادب خالد

باقلم احمد سويد

لقد قام في مجتمعنا إلى جانب الصنمية السياسية ، صنمية فكرية حجرت علينا ، وجعلته ادب موبيع ، ذات قيمة متحفية ، فنحن ما زلنا نستلهem الهواء فيها نكتب والشجاع فيها نعطي ، وأنقذ ان تلامس اجنحتنا تراب الأرض .

نبكي لعنكبوت يموت منتحرًا في سجنـه الذي نسجه ، او لفرائـة يحرقها غباؤها وغـيـرـا ، ولا تختليـقـ فيـنـاـ جـارـحـةـ لـمـوتـ الآـلـافـ منـ أـخـوـانـاـ فيـ حـرـبـ تـشـعـلـهـ أـحـقادـ المـادـةـ وـضـفـائـنـ الـأـنـسـانـ .

وننتشي لا طلالة القمر ، وتغيب عبر الوهم حين يختطف حواسنا جمال زهرة ، ولا ننتشي لجائعٍ بجد الشبع بعد ان مزق احشاءه الحرمان او لمريضٍ بجد الدواء بعدما هدَّ الاعياء فيه مناعة الكبيان .

وينقض باشق على حسون ، فتفصـقـ قـواـفيـ شـعـرـ اـنـاـ عـبـراتـ ، وـتـبـارـىـ مـوـاهـبـهـمـ فيـ تـصـوـيرـ المـأسـاةـ ، وـيـنـقـضـ الطـغـاةـ عـلـىـ شـعـبـ آـمـنـ ، يـمـزـقـونـ حـرـيـاتـهـ وـيـنـكـلـوـنـ بـالـآـبـاـةـ مـنـ اـبـنـائـهـ فـيـنـضـبـ الـوـحـيـ وـتـقـبـعـ عـفـارـيـتـ الشـعـرـ فيـ قـمـاقـهـ ، وـتـرـتـدـ المـوـاهـبـ العـبـرـيـةـ إـلـىـ شـرـانـقـهـ .

وتجالـدـ غـلـةـ حـبـةـ قـمـحـ لـتـحـلـمـهـ إـلـىـ عـنـابـرـ المـؤـونـةـ فيـ قـرـيـتهاـ فـتـثـيرـ بـطـولـتـهاـ الـاسـطـورـيـةـ الـفـلـونـ مـنـ الـخـواـطـرـ الشـعـرـيـةـ فيـ كـبـيلـاتـ شـعـرـ اـنـاـ ، وـيـضـطـربـ الـكـادـحـونـ حـوـلـهـمـ وـيـجـيـبـ الـدـونـ حـظـوظـهـمـ ، وـيـجـبـلـوـنـ لـقـمـةـ صـغـارـهـمـ بـالـعـرـقـ وـالـدـمـ ، وـيـنـتـزـعـونـهـمـ مـنـ شـدـقـ الـرـعـبـ وـالـمـوـلـ ، فـلـتـحـرـكـ نـضـالـيـةـ الـكـادـحـينـ وـتـرـأـ منـ اوـتـارـ قـيـاشـهـ ، وـلـاـ تـثـيرـ نـزـوةـ مـنـ نـزـوـاتـ شـيـطـانـهـ .

نـحنـ لـاـ نـدـعـوـ إـلـىـ تـجـاهـلـ الطـبـيعـةـ وـجـالـاتـهـ وـمـاـ تـوـحـيهـ مـلـاحـظـةـ عـوـالـهـاـ مـنـ تـأـمـلـاتـ وـلـاـ نـدـعـوـ كـذـلـكـ إـلـىـ الـاعـراضـ عنـ الـعـالـمـ الدـاخـلـيـ وـمـاـ يـوـرـ فـيـهـ مـنـ أحـاسـيسـ وـرـؤـىـ يـرـوـقـ لـلـادـيـبـ اـنـ يـتـحدـثـ عـنـهـاـ وـيـشـرـكـ بـهـ النـاسـ دـوـنـ اـنـ يـهـمـهـ رـأـيـ النـاسـ فـيـ اـعـطـيـ ، وـلـكـنـتـاـ نـدـعـوـ إـلـىـ اـدـبـ يـنـافـحـ عـنـ الـكـرـامـةـ الـإـنسـانـيـةـ قـبـلـ اـنـ يـلـهـوـ بـغـمـ النـجـومـ وـنـجـوـيـ الـقـمـرـ ، وـيـرـطـعـ فـيـ فـسـيـحـ السـمـاـوـاتـ . إـلـىـ اـدـبـ يـعـالـجـ مـشـاكـلـ النـاسـ وـيـصـورـ هـمـوـمـهـ

قال صاحبي وهو يتلو على قصيدة من الشعر الغزلي الخانع : « تفضل ... ان صاحب هذه الصماء الكسيحة يطبع ايضاً في الخلود ، يطبع ان تحمله المراء والكلام الذي رث واهـتراـ لكثرة ما لاـكتـهـ الأـلـسـنـ وـمـضـغـهـ العـلـاـكـونـ ، يـطـعـ ان تحـملـهـ العـاطـفةـ الـبـارـدةـ الـمـكـذـوـبـةـ الـتـيـ لـمـ تـنـجـعـ الـلـفـظـةـ الـعـارـيـةـ فـيـ تـزوـيرـ هـوـيـتـهـاـ وـإـقـنـاعـ النـاسـ بـاـصـالتـهـاـ » ...  
... وقدف صاحبي بالجملة التي حملت في بطنهـاـ اـكـثـرـ منـ كـسـيـحـةـ وـمـضـيـ يـدـمـدـمـ :

« وبعد هذا يتساءلون عن السر القاهر الذي يجعل معطيات هذا الجيل ترقد في توابيتها اللفظية تنتظر رحمة النسيان ، كما ينتظر المشاول اليائس رحمة الديان ! »

... صدق صاحبي ، فـانـ اـدـبـ هـذـاـ الجـيلـ إـلـاـ أـفـلهـ أـدـبـ لـفـظـةـ بـكـهـاءـ نـاصـلـةـ فـقـدـتـ زـخـمـاـ الـحـيـاتـيـ وـزـهـوـ الـلـوـنـ ، فـعـوـىـ فـيـ جـوـفـهـ الـفـرـاغـ ، وـتـصـلـبـ فـيـ بـنـيـانـهـ الـحـرـفـفـاتـ ، وـجـفـنـهـ طـاقـمـهـ التـعـبـيرـيـةـ فـمـاـ يـوـفـ فـيـ ظـلـهـ إـيجـاهـ ، وـلـاـ يـنـدـاحـ فـيـ مـداـهـاـ هـمـسـ .  
أـدـبـ لـفـظـةـ عـاجـزـةـ خـمـدـ فـيـهـ الـلـهـبـ الـعـبـرـيـ ، وـاصـبـتـ بـفـقـرـ الدـمـ لـأـنـهـ تـخـفـتـ مـنـ كـلـ شـحـنةـ اـنـسـانـيـةـ فـكـانـتـ صـدـىـ ذاتـيـةـ تـفـخـمـهاـ ظـاهـرـةـ «ـ الـأـنـاـ »ـ وـتـخـمـهاـ خـيـلـاءـ الـفـردـيـةـ .

أـدـبـ صـفـرـاءـ هـزـيلـةـ لـاـ تـحـسـ فـيـهـ قـوـرـةـ التجـربـةـ الـذـيـ يـهـبـيـ .  
عملـيـةـ الـحـلـقـ ، وـلـاـ صـدـقـ الـعـفـوـيـةـ الـنـابـعـةـ مـنـ اـعـسـاقـ الـحـسـ ، وـلـاـ نـشـوـرـةـ الرـعـشـةـ الـجـمـالـيـةـ الـتـيـ تـنـتـظـمـ الـمـعـطـيـ الـأـدـيـ لـتـكـوـنـ عـلـةـ خـلـودـهـ وـرـجـحـانـهـ فـيـ مـيـزـانـ الـقـيـمـةـ .

اما الجـمـالـيـةـ الـتـيـ نـقـصـ ، فـهيـ جـمـالـيـةـ الـبـؤـسـ الـذـيـ يـكـدرـ حـيـاتـ النـاسـ وـيـنـفـدـ الـيـهـ قـلـمـ الـأـدـيـ بـلـيـصـورـهـ تصـوـيرـاـ حـيـاـ يـعـصـ بـالـنـظـمـ الـجـائـزةـ وـيـلـازـهـاـ بـلـاـ هـوـادـةـ .  
جمـالـيـةـ الـقـلـقـ الـذـيـ يـقـتـلـ فـيـ النـفـوسـ وـلـاـ يـجـدـ لـهـ منـفـدـ تـنـفـيسـ الاـ فـيـ اـدـبـ فـاعـلـ قـادـرـ ، يـسـطـعـ اـنـ يـكـونـ نـقـطةـ التـحـولـ فـيـ حـيـاةـ كـلـ بـحـثـمـ .

جمـالـيـةـ الـوـاقـعـ الـإـنـسـانـيـ الـذـيـ يـبـرـزـ التـفـاعـلـ الـقـويـ بـيـنـ الـأـدـيـبـ وـبـيـئـتـهـ وـأـنـدـمـاجـهـ الـكـلـيـ فـيـ الـعـطـاءـ .

لَهُ مُدْبِرٌ

[ إلى «صائد الذباب» الكسول : عبد الوهاب البشّي ]

... ويقول لي جار صديق  
هلاً خرجنا للطريق ؟

لشارع السكران بالميد الجديد ..  
نلهو كما تلهو وفود الناس في مرح بليد ..  
 فأجيبيه: إني لأخجل يا رفيق ،  
 من عاري المرذول .. من فقري اللعين !  
 وأخاف تهزأ فاتنات الحي من ثوابي العتيق  
 ... فأعود أحمل كل بؤس الشارع المزدان

فألو كه ، ويقال عنـي آثم ،  
وحـش ، فقـير من نـفـاـيات الـوـجـود !

... أو قد أرى بين الصغار الضاحكين  
تلولا حزين !  
اقعى على طرف الطريق  
يختفي أسماء بعيدين ..  
اسم الله متباهيات كالحبيبة  
كعدالة الله الرحيم  
فأعود في ثغري الصلة  
كفر ... وأومن بالرجم !!

... إني لأخشى كل عيد  
وأخاف من ألمي الدفين  
ان يستثار ، فائتمي للثائرين  
في كل أرجاء الوجود  
واعيش اكفر بالحدود ...  
فأساق مثل الآخرين  
لتهم كالمشردين ،  
نخيم ... على أمل بعيد !!

ويسحل الاحظات الفرحة في حبواهم قبل ان يفوه في مشاكل  
الدوبيات والحنافس ، وهموم الزواحف .  
إلى ادب لا ينطوي الاديب فيه على ذاته ليجتر هذه الذات ،  
ويinsi ما يضطرب حوله من مآسٍ وافراح ، وينغلق حسه دون  
خنجق الحياة وصيتها .

إلى أدب إنساني يبشر بالأخاء ويحارب البغضاء، ويروّض ذلك الوحش البعض القابع في أعماق الإنسان.

إلى أدب مفاهيم يجعل من الأديب حامل رسالة لا إماماً في هندسة المفهوم ، ومعيناً لنصب الكلام .

هذا الادب الذي ننشد ، اخذت تباشيره تتضاعف من ارجاء دنيانا العربية حادة كصرخات البجع ، لتعطي ادبنا الحديث سمة الحياة ودقة الدم ، ففي كل قطر عربي طليعة شابة انتتها او كار المؤس فهدت اعناقها من فوئات التقوب لتصور الرعب الذي تعيسه الديدان الادمية في ظلمات هذه الاوكار ، والحق الذي يتمامل في نفوسهم فيغذى العاصفة ، ويجهي الاعداد .

لقد آمنت هذه الطبيعة الشابة بواقعية الأدب ، فراحت تترجم بامانة ، تطّلع الناس إلى واقع لا تشوهه العبوديات ولا يمسّه تسلط القوي على الضعيف ، ويوم يستطيع ادّها ان يزلزل ابراج العاج ، ويهدّها على رؤوس ساكنتها الذين يعيشون في عوالم من الوهم والضباب والانطوائية ، ويوم تكتمل لهبذا الأدب الفتى الشاب عن اصر النفح والتراكيز والعمق ، ويقف على قدميه ساخناً جباراً ... يومذاك نستطيع ان نقول للغرب : بنزهو المنتصر :

«خذ... هذه روانعنا . لقد اهتمينا إلى ينابيع الأدب  
الحي ، فلن تتربع وحدك على عرش الخلود بعد الآن !»

دصر قریباً

قصائد دافئة

مجموعة شعرية لأحمد أبو سعد  
منشورات «دار الأحد» بيروت

دمشق على الجندى